مقال

تجربة جاليولا في العامرية

Military Review

المقدم ديل كوهل

٢٠٢٠

مركز تنمية الفكر الاستراتيجي

تجربة جاليولا في العامرية

مقال

المقدم ديل كوهل

www.cstd.site

cst-developement@protonmail.com

نسخة منقحة من مقال نشر في مجلة العرض العسكري عدد الربيع الثاني ٢٠٠٩

٢٠٢٠

يشكك بعض النقاد العسكريين، المختصين بعمليات مكافحة التمرد، بالنهج العقائدي الجديد الذي طوره الجيش ونشره في دليل الميدان لمكافحة التمرد بما يخص عمليات مكافحة التمرد. وخاصة، النظرية التي ذكرت في دليل الميدان لمكافحة التمرد (FM 3-24) والقائلة : أنه لنجاح تمرد على المدى الطويل يجب على المتمردين ضمان الدعم الشعبي [والتأييد لقضيتهم] أو أقلها قبول الناس لهم [أو لقضيتهم]. هذه النظرية يتبناها المتمردون ويعتبرونها ركيزة أساسية لبناء استراتيجيتهم.

لذلك استنادا لخبرتي في عمليات مكافحة المتمردين لمدة أربعة عشر شهراً في شمال غرب بغداد، بما في ذلك العمليات في حي العامرية السني، أعتقد أن مؤلفي دليل الميدان لمكافحة التمرد(FM 3-24) على حق. وبينما يحاجج البعض أن نهج الجيش في مقاومة التمرد دوغماتي، فإنني لا أشاطرهم هذا الرأي. إنني لم أقرأ الدليل الميداني الجديد بكامله لأنه صدر بعد نشر وحدتي العسكرية، ومع ذلك استنادا إلى دراستي السابقة لمكافحة التمرد، اعتقدت أن اكتساب ثقة السكان المحليين كان جوهريا لعملياتنا. لقد صح ذلك على الأقل فيما يتعلق بوحدتنا.

حين عدنا إلى الولايات المتحدة، كان لدي الوقت لأفكر مليّا وأدرس عمليات مكافحة التمرد مسلحاً هذه المرة بمستوى جيد من التجارب الشخصية. لقد قرأت لاول مرة مؤخراً "حرب مكافحة التمرد: النظرية والتطبيق" . (Counterinsurgency Warfare: Theory and Practice) . بقلم ديفيد جاليولا ووجدت أنه في الوقت الذي تركز فيه مقالته على حركات التمرد الشيوعية وتلك المعادية للاستعمار فإن الكثير من أفكاره تنطبق على معركتنا الحالية مع التمرد في العراق. ويتفق جاليولا مع مؤلفي الدليل الميداني(FM 3-24) بأن دعم السكان عنصر أساسي لهزيمة المتمردين. ويطرح أربعة أسس للقيام بحملة لمكافحة التمرد:

- إن دعم السكان ضروري لحملة مكافحة التمرد بقدر ما هو ضروري للمتمردين.
- اكتساب الدعم عن طريق أقلية نشطة.

- دعم السكان أمر مشروط.
- كثافة الجهد واتساع الوسائل أمران جوهريان.



الشكل 1: بغداد مع تسليط الضوء على حي المنصور الأمني.[3]

أُرسلت الكتيبة الأولى، الفرسان الخامسة، إلى العراق في أكتوبر 2006. وتسلمت في أواخر نوفمبرالمسؤولية عن أحياء الخضراء والعامرية وطريق المطار من السرب الثامن، فرقة الفرسان العاشرة. بعد فترة وجيزة من نقل السلطة اتسعت منطقة عملياتنا إلى ثلاثة أضعاف حجمها الأصلي لتشمل منطقة المنصور الأمنية بكاملها، من معسكر الحرية إلى المنطقة الدولية. وأصبحنا تحت قيادة العقيد ج. ب. بيرتون وفريق خنجر اللواء القتالي من اللواء الثاني. احتوت قواتنا على فرقتين فقط من سرية المشاة الميكانيكية. فصلنا فصيلتي دبابات ومقر السرية لتخدم كفريق انتقالي عسكري

(Military transition team MiTT)، وأُلحق فريق سرية واحدة بكتيبة أخرى. كذلك احتفظت كتيبتنا الأم، الكتيبة الثانية، فرقة الفرسان الأولى بسرية الهندسة لدينا. زودنا العقيد بيرتون بلواء قوات استطلاعية (Brigade reconnaissance troop BRT) لها فصيلة واحدة ومقر قيادة للقوات لمساعدتنا في تحديات القوى العاملة.

واجهنا خلال الانتشار تحديات محاولة تخفيف حدة العنف الطائفي الذي يتخلل بيئة عملياتنا. استفدنا من زيادة القوات التي وفرتها الطفرة العسكرية. انطلقنا إلى القطاع مصحوبين بالوحدات الفرعية الأخرى من "لواء الخنجر" (لواء مقاتل) لنقيم عددا من المواقع القتالية والمراكز الأمنية المشتركة. لاحظنا تحسينات مثيرة في الأمن حين حولنا تركيزنا لتهيئة بيئة آمنة للسكان بدل التركيز على عملية انتقال مسؤولية الأمن لقوات الأمن العراقية. (إن العمل بشكل وثيق مع الجيش العراقي مع استمرار التركيز على النقطة السابقة يجعل عملية الانتقال لسلطة عراقية شاملة أسهل في المستقبل).



الشكل 2: حي المنصور الأمني.[4]

تأمين السكان واكتساب ثقتهم كانا أمران جوهريان. تطلب ذلك جنود منضبطون وقادة نزولا إلى مستوى المجموعة لديهم فهم لأساسيات عمليات محافحة التمرد. لم نركز بالضرورة على اكتساب قلوب وعقول السكان المحليين، بل أردنا فقط أن يثقوا بنا وبالجيش العراقي والحكومة العراقية أكثر من ثقتهم بالمتمردين الذين كانوا في منطقتنا تحت سيطرة القاعدة في العراق. ومع أنني لم أقرأ جاليولا قبل انتشارنا، عكست العمليات عموما قوانينه الأربعة.

دعم السكان

يجادل جاليولا أن جوهر مشكلة مكافحة التمرد لا يكمن في طرد المتمردين خارج منطقة معينة لأنه يمكن للمتصدي للمتمردين أن يخرجهم منها. لكن عند طرد المتمردين من هذه المنطقة وتمركز قواتنا فيها، يكمن التحدي في حقيقة أنه يمكن لهم العودة والسيطرة على المنطقة مرة أخرى مالم يكن المتصدي للمتمردين قادراً على كسب تأييد السكان المحليين. ونتيجة لذلك يكافح المتصدي ضد المتمردين للحصول على هذا الدعم. ويتمتع المسلحون بميزة في هذا الصراع وهي استناد منظمتهم على القواعد الشعبية وتجذرهم بين الناس.

لقد لاحظنا هذه الظاهرة طوال فترة الحرب في العراق. طاردنا تنظيم القاعدة من معقل إلى آخر. خلال فترة تواجدنا في بغداد تم طرد مسلحي القاعدة من شارع حيفا فانتقل كثير منهم إلى منطقة العامرية. على مدى السنوات العديدة الماضية بذلت محاولات تطهير العامرية خلال عملية "معاً إلى الأمام" (Operation Together Forward) في أغسطس ٢٠٠٦ إلى عملية "ضرب رأس السهم ٩"(Operation Arrowhead 9) في أبريل ٢٠٠٧. لكن عاد متمردوا القاعدة بعد كل هذه العمليات لأننا ما زلنا لم نكتسب بالكامل ثقة السكان. كان المتمردون إما أن يغادروا أو يندمجوا بين السكان حتى ينتقل تركيز القوات إلى موقع آخر. كانت المكاسب سطحية ومؤقتة، وظلت منظمات القاعدة السياسية والعسكرية المحلية سالمة داخل المنطقة.

كان المفهوم الكامن وراء هذه العمليات متفقاً مع نموذج **طَهِر. احتفظ. إبنِ**. المعتمد في استراتيجية الأمن القومي للنصر في العراق وفي الدليل الميداني. كان القصد تركيزاً كبيراً للقوات الأمريكية وقوات الأمن العراقية (ISF) لإخلاء المتمردين من منطقة معينة عن طريق إجراء عمليات تطويق وتفتيش واسعة وإجراء غارات دقيقة. وعندما تنتقل قوات الإخلاء إلى منطقة أخرى كان على القوة التي بقيت في المنطقة المخلاة أن تعتمد بشكل كبير على قوات الأمن العراقية للاحتفاظ بالمنطقة وتوفير الأمن لعامة الناس وإعادة الوجود الفعال للحكومة العراقية. وبعد استتباب الأمن، كان من المفترض أن نبدأ مشاريع إعادة الإعمار لبناء البنية التحتية وقدرة الحكومة والإقتصاد المحلي وزيادة ثقة المواطنين بالحكومة العراقية.

كانت هذه الاستراتيجية قوية، لكننا واجهنا العديد من المشاكل عند تنفيذها. فحتى تكون فعالة، على عمليات التطهير أولا الاستناد إلى استخبارات مفصلة بشكل كافٍ للسماح بالاستهداف الدقيق والغارات الدقيقة. ببساطة لم يكن لدينا هذا المستوى من المخابرات، لذلك كانت عمليات التطهير التي قمنا بها أداة فظة وكان لها القليل من الأثر على النشاط طويل الأجل للمتمردين. لقد عطلت العمليات نشاط المتمردين طوال تواجد قوة التطهير لكنها لم تؤثر على البنية التحتية المترسخة للمتمردين. ثانيا، ببساطة لم تكن قوة الاحتفاظ قادرة على توفير الأمن للسكان. لم يكن لدينا ما يكفي من القوات الأمريكية، ولم يثق السكان السنيون المحليون في المقام الأول بكتيبة الجيش العراقي لهيمنة الشيعة عليها. أخيراً، كنا غير قادرين على ضمان أمن السكان وغير فعالين في المضي قدما في المشاريع المدنية.

الدعم عن طريق أقلية نشطة

إن التحدي الذي تواجهه عمليات مكافحة التمرد هو كيفية اكتساب دعم السكان. لا تبحث مكافحة التمرد عن دعم سلبي أو معنوي مجرد، بل الدعم النشط في محاربة المتمردين. يجادل جاليولا أن هذا الدعم يأتي من معتقد أساسي في ممارسة السلطة السياسية: في أي وضع، ومهما كانت القضية، ستكون هناك أقلية نشطة تدعم القضية وغالبية محايدة وأقلية نشطة ضد القضية.

لكسب التأييد لقضيتك، يجب أن تعتمد على الأقلية الداعمة لقضيتك من أجل حشد الغالبية المحايدة وتحييد أو القضاء على الأقلية المعادية.

واجهنا تحديات كثيرة في العامرية. في الحقيقة كان تنظيم القاعدة في العراق يسيطر على الأحياء. وفي الوقت الذي لم تدعم فيه غالبية السكان نشاط التنظيم، حكمت الأقلية النشطة للقاعدة في العراق بالخوف. كان النظام الذي وضعناه للسيطرة على تحركات المتمردين غير فعال إذ كان فيه العديد من الثغرات التي سمحت عملياً بطرق دخول وخروج دون صعوبات. لم يثق السكان المحليين في قوات الأمن العراقية التي يسيطر عليها الشيعة حيث شعر السكان بأن لها جدول أعمال طائفي. أجبر استهداف القاعدة لقوات الأمن العراقية تلك القوات على المرابطة في مواقع ثابتة على محيط الحي، ما وفر القليل من الحماية للسكان.

في مايو 2007 بعد الانتهاء من عمليات التطهير خلال "ضربة رأس السهم 9 " أصبحت العامرية مكانا عنيفاً للغاية. وحيث كان الجيش العراقي فعلياً خارج الصورة، وجه تنظيم القاعدة عملياته ضد الولايات المتحدة والسكان المحليين. أحدثت القنابل الارتجالية المتفجرة (IEDs)، المدفونة عميقاً، أثرها في ثلاث انفجارات كبيرة في مايو فأودت بحياة خمسة جنود ومترجم واحد. كما أننا شهدنا زيادة في نيران الأسلحة الصغيرة التي قتل بها جندي آخر. وبسبب التهديد المتزايد سُحِبت قوة قتالية من

أجزاء أخرى من منطقة عمليات الكتيبة في المنصور من أجل التركيز على منطقة العامرية. كما أنني طلبت وتلقيت سرية سترايكر من المشاة.

سمحت لنا القوة القتالية الإضافية زيادة الدوريات في منطقة العامرية. قللنا عدد عمليات تطويق وتفتيش المنازل السكنية واسعة النطاق. وبدلا من ذلك استهدفنا على وجه التحديد المناطق التي قيل أن القاعدة تلتقي فيها أو توزع فيها أدبياتها والأقراص المدمجة. وقد واصلنا تحسين نظام الحواجز حول الحي هذه المرة، باستخدام عوائق طول الواحد منها ستة أقدام ووضعناها بعيداً عن المنازل.

شكلت الهياكل الجديدة حاجزاً أكثر تماسكاً ضد تحركات المتمردين، مانعة تدفق الأسلحة والذخائر والمتفجرات. ونفذ الجيش العراقي حظر تجول مشدد ومنع حركة السيارات.

بحثنا لعدة أشهر عن مكان داخل العامرية لإقامة مخفر قتالي دائم. كنا قد أقمنا مخافر غيرها في جميع أنحاء منطقة عمليات الكتيبة في حي المنصور و أثبتت فعاليتها في مساعدتنا على فهم أفضل للسكان المحليين وفي كسب ثقة المواطنين. اتفقنا على منطقة في الجزء الشمالي الغربي من منطقة العامرية على الرغم من أنه لم يكن المكان الأمثل. في 19 مايو انفجرت عبوة ناسفة مدفونة تحت المركبة المصفحة برادلي وقتلت ستة جنود ومترجم واحد بينما كنا نعمل على إقامة هذا المخفر.

كان ردنا على هذه الكارثة حاسماً في كسب تأييد أقلية نشطة في المجتمع المحلي،التي تحالفت معنا ومع الجيش العراقي لهزيمة القاعدة. نما حجم الأقلية بعد وقت بشكل هائل وأدى إلى حصولنا على ثقة الغالبية المحايدة.

بعد عودتي إلى مقري القيادي في تلك الليلة اتصلت بأحد أئمة المساجد المحلية وطلبت دعمه لمساعدتنا في إخراج القاعدة من الحي. كنت على يقين من أن الأئمة المحليين يعرفون من الذي يقف وراء أعمال العنف، لكنني أعلم أيضا أنهم يخافون تنظيم القاعدة. اعتباراً من فبراير أخذَت لقاءاتنا مع الأئمة طابع السرية. طلبوا مني ألا أجتمع معهم إلا في أوقات متأخرة من المساء. وجادلت بأن

رجالي كانوا يعانون، وأنني كنت أعرف أن هؤلاء القادة المحليين (الأئمة) لديهم معلومات كنا في حاجة إليها.

كان غير معروف لي في ذلك الوقت أن رجل الدين هذا كان بالفعل جزءً من الأقلية المعارضة لتنظيم القاعدة، سوف ينكشف هذا الجهد قريباً للجميع.

كان الضباط وضباط الصف يشعرون بالإحباط لزيادة أعمال العنف وعدم قدرتنا على تحديد عدونا بشكل إيجابي واستهداف شبكته. بسبب التذمر بدأ الحديث عن فكرة القيام ب"فلوجة" بمعنى عملية إخلاء واسعة النطاق مع الاعتماد على قوة نيران كثيفة. لكني أصريت على ضرورة ضبط النفس والاستمرار بالعمليات المركزة والتعامل مع السكان المحليين بكرامة واحترام . لم يكن هذا الخيار ذو شعبية بين الجنود، لكن سيطر قادة الكتيبة على جنودهم وحافظوا على انضباطهم. بعد مضي عدة أشهر وبينما كنا نستعد لإعادة الانتشار قال الإمام القيادي، وهو المواطن الأكثر نفوذاً في العامرية أن خيار ضبط النفس الذي اعتمدناه كان المفتاح لكسب ثقة الشعب.

في مساء 29 مايو حصلت على الجواب من الإمام الذي كنت قد تحدثت إليه بعد تدمير عربة البرادلي. قال إن السكان المحليين كانوا سيلاحقون جنود القاعدة في اليوم التالي. بالإضافة إلى استهداف الجنود الأمريكيين زادت القاعدة ضغطها على الشعب العراقي وأن صبرها قد نفذ. تجادلنا لحوالي ٢٠ دقيقة حيث حاولت إقناعه بإعطائنا المعلومات وترك أمر التعامل مع الأهداف لنا، ولكنه أصر أن على العراقيين التعامل مع هذه الأهداف. لم يكن يطلب الحصول على إذن للتنفيذ فقد كانوا في طريقهم لمهاجمة القاعدة سواء وافقت أم لا. طلبت منه ضمان أن رجاله لن يهددوا جنودي أو المدنيين غير المسلحين، وإلا سنطلق عليهم النار ثم تمنيت له حظاً سعيداً. عدَّلنا قواعد الاشتباك في اليوم التالي وانتظرنا ما سيحدث.

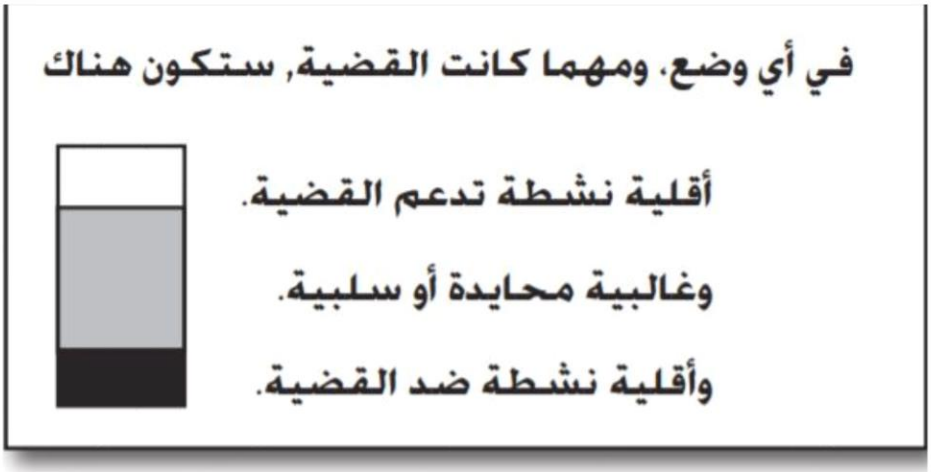
كان اليوم التالي محوريا، هاجم السكان المحليون القاعدة وقتلوا عدداً من زعمائها في العامرية. استخدم الإمام مكبر الصوت في مسجده لدعوة الناس لمهاجمة القاعدة ودعم قوات التحالف. خرج العشرات من الرجال يحملون بنادق الكلاشنكوف ورشاشات إلى الشوارع لتأمين حيِّهم. لم نطلق النار لأنه لم يُمثِل أحدٌ من هؤلاء تهديداً لتشكيلات قواتنا. اتصل بي الإمام في تلك الليلة منتشياً بالنجاح الذي حققه العراقيون، وادعى أنهم قد أخلَوا ثلثي العامرية، كنا متفائلين بحذر.

كان اليوم التالي قصة مختلفة، شنت القاعدة هجوماً مضاداً مجبرة المقاتلين المحليين على التقهقر إلى معقلين حول مسجدين. بدأتُ في الحصول على تقارير عن الموقف من جنودي، وكان الإمام يتصل بي كل خمس أو عشر دقائق ليوافيني بآخر المستجدات. يئس عندما انسحب رجاله إلى مسجده وطلب منا المساعدة. أمرت فصيلي سترايكر بقيادة النقيب كيفين سالج للذهاب لمساعدة العراقيين. كان توقيت توجه الفصيلين للمساندة مناسب تماماً. حيث أوقفوا تقدم القاعدة وأقاموا محيطاً آمناً للسماح لأصدقائنا الجدد بالتقاط أنفاسهم. كان المسجد في فوضى لتناثر الزجاج المكسر ونيران الأسلحة الخفيفة والقذائف الصاروخية (RPG) . تناثرت جثث القتلى والجرحى على أرضية الحرم. اتصل بي الإمام لعقد اجتماع رسمي مع زعيم المقاتلين في العامرية. لم نكن نعرف حتى ذلك الحين من الذي يوجه العمليات المحلية.

لم يسر لقائي الأول مع أبو عابد على ما يرام. كان من الواضح أنه مرهقاً، فتقدم بمطالب لم أكن مرتاحاً لها. التقينا مرة أخرى في الليلة التالية، وتوصلنا بعد عناء إلى اتفاق حول كيفية التعاون لهزيمة عدونا المشترك. كانت علاقتنا مؤقتة في البداية لكن مع مرور الوقت بدأنا نثق ببعضنا البعض بعد أن رأينا النتائج الإيجابية للعمل معاً. تأكد العراقيون أننا كنا ملتزمين بحماية حيِّهم.

يصرح جاليولا أن مكافح التمرد الذي يرفض الالتزام ومتابعة القانون الثاني له (اكتساب الدعم عن طريق أقلية نشطة) والذي يلتزم بقيود زمن السلم سيطيل أمد الحرب ولن يقترب من النصر. كان

التحدي الذي واجهناه هو أن قوات الأمن في المنطقة نُظِر إليهم كمحتلين رغم أنهم كانوا عراقيين. كان معظمهم من الشيعة ويميلون إلى استخدام القوة المفرطة. ومما عقّد الأمور، أن السكان المحليين كانوا يخافون من أي قوة متصلة بوزارة الداخلية. وقد اعتقلت الشرطة الوطنية العشرات من الرجال عشوائياً ولم تعط تفاصيل عن مصيرهم. ذكر أيضا أن أعضاء في وزارة الداخلية قد نهبوا المصرف المحلي.



الشكل ، 3. التأسيد للتمرد.

الدعم الشعبي المشروط

أثبتت حجة جاليولا "بأن الحصول على الدعم من أقلية نشطة أمر ضروري" صحتها بالنسبة لنا. لم يؤد استخدام قوة تهيمن عليها الشيعة لتوفير الأمن إلا إلى تعزيز أحد الأسباب الرئيسية للتمرد السني: عدم وجود فرص للسنة ليصبحوا جزءً من القوة الأمنية المشروعة. إن أبو عابد ورجاله هم الأقلية النشطة التي احتجنا إليها، وقد هاجموا أساس التمرد.

يجادل جاليولا بأن الأقلية المعادية للمتمردين لن تظهر طالما أن التهديد لم ينخفض بشكل معقول. وحتى في حال ظهور هذه الأقلية فلن تكون قادرة على حشد باقي السكان إلا إذا كانوا مقتنعين بأن المتصدي لديه الإرادة والوسائل والقدرة على الفوز. علاوة على ذلك، فإنه من المستحيل القيام بالإصلاحات السياسية والاقتصادية والإجتماعية طالما أن المتمردين يسيطرون على السكان.

شاهدنا كل هذه التحديات في العامرية. ما زلت غير متأكد من السبب الذي دفع أبو عابد ورجاله إلى التقدم إلى الأمام عندما فعلوا. إن جزءً من الجواب يكمن من دون شك في الأساليب الوحشية التي استخدمتها القاعدة للسيطرة على الجماهير بما في ذلك عمليات الخطف والتعذيب والقتل. علاوة على ذلك أعاقت القاعدة أي تحسينات على المجتمع المحلي، معطلة الخدمات الأساسية كجمع النفايات وإصلاح المجاري وتوزيع الغاز والبروبان والكيروسين الذي تكثر الحاجة إليه.

وأظن أن أبو عابد وأتباعه تقدموا نحونا بسبب الالتزام الذي قطعناه للمجتمع. ففي فبراير 2007 في اجتماع مع قادة المجتمع المحلي قلت لهم أننا كنا ملتزمين بهزيمة القاعدة وحماية العامرية من الميليشيات الشيعية. شاهد الناس كيف سيطر جيش المهدي على حي الحرية في يناير. كما شاهدوا توسع جيش المهدي إلى الجنوب في حي العامل والجهاد، مما زود القاعدة بأداة تجنيد كبيرة. انضم المتمردون المحليون إلى القاعدة لحماية أحيائهم من جيش المهدي، ولكنهم ندموا على هذا القرار. لقد وفر التزامنا للسكان المحليين بوقف توسع جيش المهدي بديلاً آخر. لم يرق القمع الذي كانت ترتكبه القاعدة ومشروعها السياسي لإقامة الخلافة للسكان المحليين أو المجموعات المتمردة المحلية. كان السكان المحليون بصفة عامة متعلمين جيداً وأكثر علمانية في توقعاتهم. حتى الأئمة تحدثوا عن ضرورة تشكيل حكومة علمانية بدلاً من حكومة تديرها الأحزاب الدينية. اعترف زعماء أقليات مرموقين بالتزامنا، على الرغم من زيادة العنف في العامرية لأنه بالرغم من خسائرنا، واصلنا البناء.

مع زيادة عدد الدوريات في المنطقة اقتنع السكان بأننا لن نغادر. تحسين الحواجز وفرض حظر التجول والقيود المفروضة على قيادة السيارات جعل التنقل أكثر صعوبة لناشطي القاعدة مما ساعد بعزلهم عن السكان. وبزيادة المعلومات الاستخباراتية اكتشفنا الأنماط المعقدة لعمليات القاعدة وعطلنا اجتماعاتها. أخيراً منع الرد المنضبط من جنودنا على الخسائر التي عانوها، السكان غير الملتزمين من التحول ضدنا.

في 30 مايو تفجرت انتفاضة شعبية جلبت عشرات الرجال إلى الشوارع عندما أطلق أبو عابد الطلقة الأولى، ما أسفر عن مقتل زعيم بارز من القاعدة في المنطقة. ومع ذلك تسبب رد فعل القاعدة العنيف في أن يتوارى الكثيرون عن الأنظار. عندما جئنا للمساعدة، كان لدى أبو عابد حوالي نصف دزينة من الرجال الملتزمين معه فقط. وارتفع العدد إلى نحو ٣٠ في غضون أيام قليلة. لكنها كانت لا تزال مجموعة صغيرة. كان الجزء الأكبر من السكان لا يزال غير مقتنع. وعلى مدى الشهرين ونصف المقبلين عملنا بشكل وثيق مع هذه المجموعة الصغيرة من المقاتلين والجيش العراقي للسيطرة على السكان، ومن خلال الاستهداف الفتاك والدقة انتزعنا السيطرة من القاعدة.

مررنا بتغييرات مختلفة لإسم المجموعة، ورسونا على فرسان الرافدين أو "فرسان أرض بلاد ما بين الرافدين". خلال فترة تواجدنا في بغداد كانوا معروفين بشكل عام أكثر باسم "المواطنين المحليين المعنيين"، الذي تغير منذ ذلك الحين إلى "أبناء العراق". زاد عدد المتطوعين كلما شاهد الناس النجاح. قارب العدد في الشهر الأول حوالي ٣٠، ولكن عندما وقعنا عقد أمن معهم بعد 3 أشهر، كان لدينا مايقرب من 300 من الرجال. حارب هؤلاء الرجال وقتلوا في بعض الحالات من دون أن يدفع لهم رواتب لأكثر من ثلاثة أشهر. جادل الكثيرون بأن السبب الوحيد لمجيء أهل السنة إلى جانبنا هو أننا كنا ندفع لهم، كان هذا الادعاء غير دقيق في منطقتنا.

أنشأنا في وقت مبكر خلية بقيادة النقيب داستن ميتشيل قائد لواء القوات الاستطلاعية 4/5 للعمل مع الفرسان على أساس يومي. خدم هؤلاء الرجال كمستشارين من الفريق الانتقالي العسكري لأبي عابد، يزودونه بالنصيحة حول كيفية الانتقال من مشرف على وحدة صغيرة إلى كونه زعيماً لمنظمة كبيرة. وعندما أعاد ميتشيل وجماعته الانتشار، أنشأنا سرية مؤقتة بقيادة النقيب إريك كوسبر، ضابط دعم النار لدي لاستمرار العلاقة الوثيقة مع الفرسان.



النقيب كيفين سالج (على الجانب الأيسر) مخططا مهمة مع أبو عابد (جالسا على اليمين)، يونيو 2007.

وعندما واصلنا العمل مع الفرسان، وجدنا أن كلا من كتيبتنا وكتيبة الجيش العراقي اكتسبا شرعية لدى السكان المحليين. لقد عملنا على معالجة الكثير من المسائل معهم، بما في ذلك الشكاوى من التخويف والنشاط الإجرامي. كانت بعض التقارير التي تلقيناها جزء من حملة عملية تضليل نشطة من قبل القاعدة وغيرها سعياً لتشويه سمعة أبو عابد والفرسان.

وفي الحقيقة كان لدينا بعض الحوادث وجب التعامل معها، ولكن تلقينا عدداً أقل من الشكاوى حول الفرسان مما تلقينا حول الجيش العراقي. وعندما حققنا بالشكاوى ضد الفرسان وجدنا مبرراً لبعضها. وهكذا فإننا ضبطنا عدة أعضاء واعتقلنا بعضهم.

تلقينا شكاوى مماثلة أيضا حول جنود الجيش العراقي في المنطقة. قمنا بتعيين مجموعة متنوعة من قادة الجيش العراقي. تطابق عدد الشكاوى مباشرة مع نوعية القادة للجيش العراقي. وجدنا أن عدد الشكاوى قد انخفض بشكل ملحوظ عندما كنا نقوم بعمليات مع جميع القوى الثلاث معا، وزاد هذا من ثقة السكان وعزل المتمردين عنهم.

كان ظهور أبو عابد كزعيم للأقلية المكافحة للتمرد ضربا من الشجاعة والأمان. كانت لديه الشجاعة ليتقدم نحونا على الرغم من أننا لم نفعل شيئا يذكر للحد من التهديد الذي يجادل جاليولا بأن من الضروري لجمه لدفع هذه الأقلية لتظهر نفسها. ومع ذلك كان له وللأئمة الذين دعموه الإيمان في جهودنا لدعمهم، ورأوا أن الوقت قد حان. كان النمو بطيئاً. كانت الغالبية العظمى من السكان لا تزال غير مقتنعة بأن لدينا الإرادة والوسائل والقدرة للفوز. ومع ذلك كلما نما نجاحنا في استهداف القاعدة زادت أعداد أولئك المعادين لحركة التمرد، وتضخمت صفوف المتطوعين للفرسان. وأصبحت الجماهير بصفة عامة أكثر ثقة. وبدأوا التنديد علناً بالقاعدة وإظهار التأييد للجهود التي بذلناها. زادت الشراكة التي شكلناها مع الفرسان والجيش العراقي شرعية الحكومة العراقية، ومهد الأمن الذي تم إنشاؤه الطريق للتنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

كثافة الجهود واتساع الوسائل

يجادل جاليولا بأن العمليات اللازمة لتخفيف الخطر على السكان من المتمردين يجب أن تكون مكثفة ولفترة طويلة.

ولا يمكننا تخفيف جهودنا في التصدي للمتمردين في جميع أنحاء البلاد بل يجب علينا تخفيفه منطقة تلو الأخرى. في النهاية منحت لنا الطفرة العسكرية بعدد القوات العام المنصرم وتركيزها على بغداد القدرة القتالية اللازمة ليكون لها أثر دائم. وبدون زيادة الكتيبتين في منطقة عملياتنا والزيادة الأخرى في منطقة اهتمامنا، لم يكن النجاح الذي أحرزناه ممكناً. سمحت لنا إضافة مدفعية الميدان 2-32 والمدرعات 1-64 إلى حي المنصور الأمني أن نركز جهودنا في العامرية. انخفض عدد الوحدات العراقية المشاركة في عملنا إلى مستوى يمكن السيطرة عليه.

أدت جهود هذه الكتائب أيضاً في تعطيل قدرة القاعدة على التحرك بحرية وحرمتها من القدرة على إعادة إنشاء نفسها في مناطق أخرى. وإلى الشمال منا أوقفت بشكل فعال عمليات سلاح الفرسان 2-12 والمشاة المحمولة جوا 1-325 توسع جيش المهدي، بينما انتزع سلاح الفرسان 2-12 السيطرة على جنوب الغزالية من القاعدة.

وبينما لم تكن بالضرورة مصمَمَة لدعم جهودنا، ساعدت الجهود التي بذلها فريق اللواء القتالي الثاني في فرقة المشاة الأولى على تعزيز التزامنا تجاه شعب العامرية. كانت خطة حملة العقيد بيرتون وموظفيه بسيطة لكنها فعالة: التركيز على وقف توسع المجموعات الشيعية المتطرفة وهزيمة القاعدة. لقد أعطى قادته المرونة للتعامل مع التحديات الفريدة من نوعها بالنحو الذي يرونه مناسباً. ضمن موظفوه لنا تلقي الموارد اللازمة لمتابعة المكاسب الأمنية مع تحسين الخدمات والمشاريع لتحسين البنية التحتية. مكَّنت الطفرة العسكرية القيام بمثل هذه الجهود وتم تنفيذها من خلال خطة شاملة حملت

لواء الأمل للمواطنين المحليين الذين بدأوا بالاعتقاد في نهاية المطاف بأن لدينا القدرة على الفوز. وقد أدى الأمل إلى زيادة عدد الأشخاص الذين كانوا على استعداد لتقديم الدعم لنا صراحة في جهودنا لهزيمة القاعدة، وبالتالي زادت صفوف الفرسان زيادة قوية.

الاستنتاج

كان أساس نجاحنا في العامرية الجنود المنضبطين واعتماد سياسة ضبط النفس في مواجهة الشدائد، وقادة متفهمين على مستوى المجموعة الذين أدركوا أننا في حاجة لتأييد السكان المحليين لهزيمة القاعدة. أسسنا نظامنا اعتمادا على العلاقات التي كانت موجودة سابقا وأضفنا عليها إنجازاتنا ليتوارثها الجنود الذين سيأتون بعدنا. كانت تنمية ثقة السكان المحليين أمر ضروري، ولبنائها كان علينا أن نظهر أننا ملتزمين بسلامتهم. ولكي نكون فعالين كان علينا أن نثق بالسكان المحليين الذين تقدموا للقتال إلى جانبنا وجانب الجيش العراقي لهزيمة القاعدة. وكانت النتائج مثيرة، لم نتعرض لأي هجمات كبيرة على الكتيبة في العامرية من 7 أغسطس حتى غادرنا في 2 يناير. ووقع آخر هجوم بقذائف الهاون على الحي في يوليو، وانخفضت عمليات القتل والاختطاف من حوالي 30 في الشهر إلى 4 فقط في النصف الأخير من العام. فتح أكثر من مئتي متجر خلال الوقت الذي أعدنا فيه انتشارنا. ضغط نجاح عملياتنا أيضا على الحكومة العراقية لتقديم الخدمات داخل المجتمع، والتحرك نحو المصالحة بقبول السنة في قوات الشرطة العراقية. تطلب نجاحنا التفاني القوي من جانب الجنود والقادة فضلاً عن الوقت والصبر. وما أن اتضحت المكاسب الأمنية، حتى تمكنا من تحقيق تحسن ملحوظ في نوعية الحياة للمواطنين في العامرية.

بناءً على تجربتنا، يبدو أن جاليولا محق بأن اكتساب تأييد السكان أمر ضروري للتصدي للمتمردين. لقد أدركت أن اكتساب ثقة السكان المحليين يعتبر نقطة محورية لعملياتنا وعمليات المتمردين. وقد كنت أملك أن أستخدم العنف وأن أتبع نهجا أكثر فتكا، إلا أنني دائماً ما اعتقدت أن هذا سيؤدي إلى

نتائج عكسية وسيكون سلاحاً في أيدي أعدائنا على حساب الجماهير. لم نكن قادرين على كسب ثقة السكان المحليين حتى تمكنا من إقناع المعادين للتمرد للتقدم نحونا. أدى الأمن الذي ترسخ إلى دعم السكان لنا عندما رأوا أنه كانت لدينا الإرادة والوسائل والقدرة على الفوز. وأخيراً كان يمكننا تركيز جهودنا على منطقة العامرية لتطهيرها. سمحت الطفرة العسكرية في عدد القوات بتركيز جهود كتيبة بأكملها في المنطقة لفترة طويلة. وقد كنا قادرين على توفير الموارد الأخرى لبناء البنية التحتية المحلية والاقتصاد لتوفير قدر أكبر من الشرعية للحكومة العراقية. لذا يمكننا استنتاج أن العمل المشترك الذي تم بين قواتنا والجيش العراقي والفرسان وسكان العامرية أثبت صوابية حجج جاليولا لعمليات الجيش الأمريكي في العراق.